

دور المماليك في انتهاء الحكم الايوبي في مصر ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م

د. سالم يونس محمد المولى
معهد اعداد المعلمات/الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٩/٢/١٥ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٩/١٠/١٥

ملخص البحث :

على الرغم من ان بلاد الشام ومصر كانت خلال عدة عقود كاملة تحت حكم الاسرة الايوبية، فان قيام دولة المماليك البحرية في مصر عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م، لم يكن حدثاً تاريخياً عادياً في تلك الحقبة الزمنية، بسبب فشل الايوبيين في استكمال الدور التاريخي الذي افرز دولتهم، وبدلاً من اهتماماتهم بالجهاد ضد العدو الصليبي وجهوا طاقاتهم وقدراتهم السياسية والعسكرية للاقتتال فيما بينهم بل وصل الامر ببعضهم الى درجة الاستعانة بالصليبيين ضد البعض الاخر، في وقت كانت الاحداث والوقائع توحى بظهور قوة جديدة ذات مميزات سياسية وعسكرية مؤثرة بعد ان اخذت الدولة الايوبية بعد وفاة مؤسسها صلاح الدين الايوبي (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) بالانهيار والتفكك وظهر الفتن الداخلية والتنافس على السلطنة وتخلوا عن دورهم التاريخي في التصدي للصليبيين واثروا سياسة المهادنة حتى يتفرغوا لمنازعاتهم الداخلية، على الرغم من الجهود العسكرية لقسم من ملوكها كالعادل والكاظم ثم الملك الصالح ايوب العسكرية ضد الصليبيين، لكنها كانت جهوداً ذات طابع دفاعي اكثر من هجومي ادى الى بروز قوة فنية جديدة هي فرسان المماليك كقوة حسم لكثير من القضايا مثل عزلهم الملك العادل الثاني وتنصيب اخيه الملك الصالح ايوب ومن ثم التآمر لقتله.

وفي خضم هذه الاحداث برزت قوة جديدة اثبتت قدرتها لمواجهة التحديات الانية انذاك والتي تمثلت بالوجود الصليبي في بلاد الشام ومن بعده الغزو المغولي ثم تولي قيادة العالم العربي والاسلامي وان تلعب دوراً فاعلاً في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية في الوطن العربي، وكان قيام دولة المماليك في مصر يعني ظهور دولة فنية تستند في وجودها الى طبقة عسكرية متدربة تدريباً عسكرياً عرفت بفروسياتها وحسن اعدادها، وكان يؤتى بافرادها وهم صغار ثم يخضعون الى عملية تثقيفية يتعلمون فيها اللغة العربية وتعاليم الاسلام، كما يخضعون لتدريب منظم محدد المعالم يتم عبر مراحل لا يتجاوزونها عادة الا عبر مستلزمات صارمة مما ترك اثره في تماسك هذه الطبقة الحاكمة، وشكل احدى الدعائم التي قامت عليها الدولة المملوكية، وتعد

الفرقة البحرية التي كان قد انشأها آخر ابرز السلاطين الايوبيين الملك الصالح ايوب (٦٣٨ - ٦٤٧ هـ/١٢٤٠ - ١٢٤٩م) في مصر ان تتسلم السلطنة في اعقاب مقتل الملك تورانشاه بين الملك الصالح ايوب على يد مماليك والده عام ٦٤٨ هـ/١٢٥٠م، مسجلة بذلك نهاية الدولة الايوبية في مصر وبداية دولة المماليك البحرية.

وتحاول المصادر المعاصرة والقريبة منها كل من جانبها تبرير مقتل الملك تورانشاه بحجج واهية منها ان فيه خفة وانه كان دائماً غير مطيع لوالده لذا كان يكرهه ويردد ان ابنه لا يصلح للملك، رغم ان هذه المصادر ذكرت الحدث لاحقاً فانها تبرر مقتله لمصلحة خاصة وكون معظم مؤرخيها عاشوا في كنف المماليك فضلاً عن الخوف من سطوتهم دون التطرق للأسباب الرئيسية لاغتياله والتي جاءت ضمن خطة احيكت خيوطها بدقة منذ زمن بعيد لاغتيال والده لكن مرضه اسعفه فاطاحت بابنه، اثناء تعرض البلاد الى غزو اجنبي ونعني بها حملة لويس التاسع ملك فرنسا التي تزامنت مع مرض الملك الصالح ايوب ثم عجلت منيته، لكن المماليك وعلى رأسهم شجرة الدر زوجة الملك الصالح ايوب استطاعوا ان يأسروا معظم الجيش الصليبي وبضمنه الملك لويس التاسع، حيث اقاموا شجرة الدر في السلطنة بعد مقتل الملك تورانشاه والتي سرعان ما تنازلت عن السلطنة لاتابك عساكرها الملك المعز ايبك التركماني عام ٦٤٨ هـ/١٢٥٠م.

The Role of AL-Mamaleek in Ending the Ayobbid Rule in Egypt

Dr. Salem Younis Mohammed

Institution of Teachers Preparation / Mosul

Abstract:

Though AL-Sham and Egypt countries were under the Ayobbid rule , the rising of AL-Mamaleek state in Egypt 648 A. H./1250 A. D was not a normal historical incident during that period because of the failure of the Ayobbid family in completing the historical role .This role was concerned with the struggle against the crusaders instead of forced all their political and military abilities to fight with each other to the extent that some of them asked for the help of the crusaders against them during

that reign the incidents and facts show that another power will arise having some political effective characteristics especially after the Ayobbid state has been declined after the death of its leader Sallahuddin.

Then competence for authority arouse and they left their historical role to fight against the crusaders in spite of the efforts made by some of their kings like the king Ayoub.

المقدمة

المملوك هو العبد الذي يباع ويشترى وجمعه ممالك^(١)، ونعني به العبد الابيض وقد كان هؤلاء العبيد يجلبون من شبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز والقفقاق واسيا الصغرى وتركستان وبلاد ما وراء النهر او عن طريق الهبات والاهداء او الجزية او الاسر في ميادين القتال، او كان يجلبونهم التجار من النخاسة، وقسم يدفعها حكام الولايات او القادة العسكريون للدولة العربية^(٢)، وكان معظم هؤلاء الرقيق من الاطفال، ويغلب عليهم العنصر التركي وبقيتهم من الشراكسة والروم والاكراد وغيرهم^(٣).

ويرجع ظهور المماليك في العالم الاسلامي الى القرن الاول الهجري/السابع الميلادي وكان لاجتياح الجيش الاسلامي بلاد ايران ووصولهم الى ما وراء النهر اثره في دخول اعداد كبيرة من اسرى هذه البلاد ولاسيما العنصر التركي^(٤)، وقد بدأت هذه العناصر تأخذ دورها في الاحداث التاريخية من خلال اسهامها في الثورة العباسية مع القائد قحطبة بن شبيب الطائي ووصولها الى العراق وبلاد الشام^(٥). وازدادت فعاليتهم ومشاركتهم باحداث الدولة العباسية في عهد الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور ومن تلاه من الخلفاء العباسيين ولاسيما الخليفة المعتصم بالله ٢١٨ - ٢٢٧ هـ/٨١٣ - ٨٤٢ م^(٦) فقد شكل من العنصر التركي فرقاً عسكرية بعد جلبهم من سمرقند وفرغانه والسند وبخارى وغيرها من اقاليم ما وراء النهر حتى بلغت تعداد افرادها بضعة عشر ألفاً^(٧)، وازداد تاثير هذه القوى في السياسة العباسية حتى اصبحت اسيرة بايديهم بعد ان سيطروا على الجيش العباسي وقد ارتقى بعضهم مناصب ادارية كامير الامراء أو منهم الوزراء والحجاب وشكلوا طبقة عسكرية ذات امتيازات اثرت فيما بعد على مجريات الاحداث وتطورها متأخذت سياقات عديدة في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتحولت هذه القوى من عامل دعم وتثبيت للدولة العباسية الى عامل هدم وتخريب لها بل تجرأ كثير منهم على اسيادهم من الخلفاء العباسيين من حيث تعيينهم كالخليفة المتوكل والمهدي ومن ثم التآمر عليهم بالعزل او القتل، كما تطلع قسم منهم فاصبحوا ولاية على بعض اقاليم الدولة

العباسية فاحمد بن طولون والياً على مصر اسس الامارة الطولونية في مصر، وهو من المماليك الاتراك الذي ارسله حاكم بخارى من ضمن الرقيق والهدايا الى الخليفة المأمون عام ٢٠٠ هـ/٨١٥م^(٨)، وقد تمكن عام ٢٥٤ هـ/٨٦٨م من الانفصال بولاية مصر عن الخلافة العباسية، وكانت الدولة الطولونية (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ/٨٦٨ - ٩٠٥م) اول من استخدم المماليك في مصر حتى بلغ تعدادهم اربعة وعشرين الف مملوك^(٩)، كما سارت الدولة الاخشيدية (٣٢٣ - ٣٥٨ هـ/٩٢٣ - ٩٦٨م) على نهج الدولة الطولونية في اقتناء المماليك اذ بلغ تعدادهم في عهد محمد بن طفج الاخشيدي (٣٢٣ - ٣٣٣ هـ/٩٣٤ - ٩٤٤م) مؤسس الدولة الاخشيدية ثمانية الاف مملوك^(١٠)، رغم ما اورد ابن تغري بردي^(١١) ان تعداد الجيش الاخشيدي كان اربعمائة الف، ولكن هذا الرقم يبدو مبالغاً فيه في تلك الحقبة حيث لم يصل جيش مصر الى هذا العدد لما يحتاجه من امكانيات اقتصادية ومالية كبيرة تعجز تلك الامارات عن توفيرها في تلك الحقب الزمنية.

ولما تسلمت الدولة الفاطمية السلطة (٢٩٧ - ٥٦٧ هـ/٩٠٩ - ١١٧١م) استمرت في شراء المماليك و اضافوا عنصراً جديداً لهم هم الصقالبة^(١٢)، فضلاً عن العنصر التركي الذي كان معظم عساكرهم منه، وتعد الدولة الفاطمية اول من وضع نظاماً تربوياً للماليك في مصر^(١٣)، حيث يتولى المماليك الصغار استاذين لتربيتهم وتعليمهم الكتابة والقراءة وتعاليم الدين الاسلامي ومن ثم الفروسية والرماية، وبعد اتقانهم لذلك يتم عتقهم والالتحاق بالجيش الفاطمي ويرتقون الى المناصب والرتب العالية حتى ان قسماً منهم وصل الى مناصب الولاية والقيادة في الدولة الفاطمية^(١٤).

اما الدولة الايوبية (٥٦٧ - ٦٤٨ هـ/١١٧١ - ١٢٥٠م) التي تاسست بعد اسقاط الخلافة الفاطمية فقد سعت للتخلص من بقايا عساكر الدولة الفاطمية من العبيد السود والارمن وعناصر اخرى، واحلال مؤيديها من الاكراد والعرب ومماليك اترك مكانهم^(١٥)، رغم ما تشير اليه المصادر ان معظم جيش الامير اسد الدين يشركوه (عم السلطان صلاح الدين الايوبي) كان من المماليك والامراء النورية^(١٦). وقد اسهمت الظروف الانية انذاك من حيث صراع الدولة الايوبية مع بقايا الدولة الفاطمية من جهة، واطماع الصليبيين لاحتلال مصر من جهة اخرى زاد التوجه لاشراك المماليك في العملية السياسية والعسكرية للدولة الايوبية حتى بلغ تعدادهم حسب قول المقرئ المقيزي اثني عشر الفا^(١٧)، مما ادى للاهتمام بالعنصر المملوكي من حيث تنشأتهم حيث بنوا لهم الطباق والمدارس لاعدادهم تربوياً وعسكرياً ودينياً، وكان ولاؤهم للامير الذي اشتراهم ورباهم عسكرياً، وكان جيش السلطان الايوبي يتكون من مماليكه الخاصيين ومن المماليك الذين انضموا اليه من السلطان المتوفى قبله، ويضاف اليهم بعض مماليك من مات اميرهم او قائدهم، وكان السلطان الايوبي لا يثق الا بمماليكه الخاصيين، لان العنصر المملوكي ذات طابع متقلب مع

من بدقة اكثر فضلاً عن تلهفهم للمناصب العليا والقيادة. ومع ازدياد اعداءهم واستخدامهم من قبل سلاطين بني ايوب بدؤوا يطلقون على فرق المماليك اسماءهم فالمماليك الصلاحية نسبة الى السلطان صلاح الدين الايوبي والاسدية نسبة الى السلطان اسد الدين شيركويه، والعادلية نسبة للملك العادل والعزيرية نسبة للملك العزيز بن صلاح الدين الايوبي والاشرفية نسبة للاشرف بن موسى بن العادل والكاملية نسبة للملك الكامل والصلاحية نسبة للملك الصالح نجم الدين ايوب^(١٩).

ولعل قيمة استخدام المماليك في الدولة الايوبية تتجسد في بيبرس المنصوري^(٢٠) "ان مملكة الديار المصرية انتهت بعد انقضاء الدولة العبيدية من الملوك المسمين بالعلوية الى الذرية الايوبية فلما شاء الله عز وجل انقراضها وقضى بانتقاضها، وسبق في علمه ان صلاح الناس في تولية اولي البخت والباس وان الاتراك اوفى الاجناس عقلاً وحزماً وان في هدايتهم الى الايمان صلاحاً خاصاً وعاماً... فاتفق من هذا الظهور التتار واستيلائهم على البلاد الشرقية والشمالية وتعددهم الى الاتراك القفجاقية فوقعوا بهم من الوقائع واوردوهم من القتل والسبي والاسر فبيعت ذراري الترك القفجاق وجلبهم التجار الى الافاق، فسبق منهم الى الديار المصرية والبلاد الشامية في اخر الدولة الايوبية جموع من الشبان واواسط الفتیان فاشتراهم بني ايوب بانفس الاثمان ليجملوا بهم المواكب ويعتضدوا بهم في الكتايب واتخذوهم عدة في النوائب لما فيهم من الشجاعة ورمي السهام وممارستهم منذ الطفولة الخطوب وصيروا منهم الملك الناصر صلاح الدين واخوه الملك العادل ثم ولده الكامل... فلما افضت المملكة الى ولده الصالح نجم الدين استكثر منهم استكثاراً... فبذل فيهم الاموال واعتمد عليهم واستمالهم عليه حين سلمه بنو جنسه... كما اشار بذلك شافع بن علي "... تطلب ايجاد الحاكم لمجموعة من المماليك تتبعه وتقوم على حراسته في السلم وتكون قلب جيشه وقد بلغ تطور هذه الفكرة في اذهان رجال تلك الفترة ان بدأ الصالح نجم الدين بشراء عدد من المماليك، انتقاهم من اسواق الرقيق في البلدان الاسلامية وعلمهم امور الحرب ودرهم تدريباً متطور واختار لهم اسلوباً خاصاً في حياتهم واسكنهم القلعة التي في الروضة على النيل وسموا لذلك بالبحرية".

تأثير المماليك في سياسة الدولة الايوبية

لعب المماليك دوراً بارزاً ومؤثراً على الساحة الايوبية من خلال تأثيرهم الفعلي في الصراعات الداخلية للبيت الايوبي حول كرسي السلطنة، وكونهم قوة الحسم العسكري في ذلك الوقت حين تلاشت القوى العسكرية الاخرى وبدأت تتلاشى وتختفي عن ساحة الصراع مما فسح المجال للقوى المملوكية الانفراد بالساحة انذاك حتى ان السلطان صلاح الدين الايوبي "يستنيم لشورتهم فضلاً عن النزول لارادتهم"^(٢٢).

كما اسهمت فرق المملوكية من الصلاحية والاسدية بدور كبير في الصراع بين الملك العادل وابن اخيه الملك العزيز بن صلاح الدين عقب وفاة الملك صلاح الدين الايوبي ٥٨٩ هـ/١١٩٣ م^(٢٣) الذي انتهى بانتصار الملك العادل الذي ساندته المماليك الاسدية وازداد هذا التأثير والتدخل بعد وفاة الملك العادل عام ٦١٥ هـ/١٢١٨ م عند مساندة المماليك العادليين عام ٦١٥ هـ/١٢١٨ م وهم اتباع الملك المعظم بن العادل ضد تولية اخيه الملك الكامل، لكن الاخير استطاع السيطرة على الموقف وقبض على كثير من امراء المماليك العادليين ومصادرة اموالهم^(٢٤).

وقد ادرك الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل، ما للقوى المملوكية من تأثير على الساحة السياسية والعسكرية انذاك خاصة وانه جرب قبل ذلك عند تجنيد الخوارزميين وغدرهم وعدم وفائهم^(٢٥) عندما كان وليا للعهد في سلطنة والده الملك الكامل عام ٦٢٥ هـ/١٢٢٧ م، لذا فضل ان يشكل منهم قوة خاصة به تتألف من المماليك الاتراك يختارهم بنفسه حتى يكون ولاؤهم له وذلك بالاشراف من قبله على اعدادهم، وبدأ بتنفيذ هذا المشروع عام ٦٢٧ هـ/١٢٢٩ م^(٢٦) عندما كان نائباً لوالده الملك الكامل حين توجهه الى سوريا لكن زوجة والده لم تمهله لاكمال ما بدأ به حين وشت به، متخذة ذلك ذريعة لابعاده عن ولاية العهد وتولية ابنها الملك العادل الثاني محله عام ٦٢٧ هـ/١٢٣٠ م حينما ابغت زوجها بقيام المالك الصالح نجم الدين المبالغة في شراء المماليك وما يبيته من عمله هذا هو تنحيته عن السلطنة وارتقائه لها^(٢٧). فارتاب منه الملك الكامل وعزله عن ولاية العهد ونفاه الى حصن كيفا^(٢٨) في حين كان مماليك الملك الصالح ايوب لن يتجاوزوا الثمانين عند وفاة الملك الكامل عام ٦٣٥ هـ/١٢٣٨ م^(٢٩)، ويبدو ان والده قد حدد عدد ممالিকে ومنعه من زيادة عددهم حتى لا يكون قوة تهدد سلطانه وكيانه السياسي انذاك، حيث خلفه على العرش ابنه الملك العادل الثاني اما الملك الصالح ايوب فاستمر على ولايته على البلاد الفراتية (آمد وديار بكر وسنجار والخابور وحصن كيفا والرها) ودمشق^(٣٠) الا ان الاحداث السياسية انذاك بين ابناء البيت الايوبي ووقوع الملك الصالح ايوب في الاسر عند الملك الناصر داؤد صاحب الكرك^(٣١)، الذي تحالف مع الملك العادل الثاني عام ٦٣٦ هـ/١٢٣٩ م، لكن الملك الصالح ايوب استطاع الخروج من الاسر اثر اتفاقه مع الملك الناصر داؤد، في وقت تحالفت المماليك الكاملية مع المماليك الاشرفية لخلع الملك العادل الثاني مستغلين خروجه لمحاربة الملك الناصر داؤد، حيث قبضوا عليه في بلبيس^(٣٢) وخلعوه عام ٦٣٧ هـ/١٢٤٠ م^(٣٣).

ولم تتحرك عساكره لانفاذه مما يوحي الى مدى ما وصلت اليه قوة المماليك في حسم كثير من القضايا حتى ولو وصلت لخلع سلطان وتنصيب اخر، لكنه لم يجرؤ على تنصيب احد امرائهم انذاك للصراعات الداخلية بين هذه القوى حيث ادت هذه الاختلافات بين المماليك

الاشرفية والكاملية حول من يتولى سلطنة مصر حيث مالت المماليك الاشرفية الى عم الملك العادل الثاني الملك اسماعيل بن العادل صاحب دمشق في حين مالت المماليك الكاملية الى الملك الصالح ايوب، لكن الكفة مالت الى المماليك الكاملية كونهم الفرقة الاقوى، في اعدادها وتدريبها وولائها لهم فاستدعوا الملك الصالح ايوب لتولي سلطنة مصر عام ٦٣٨ هـ/١٢٤٠م^(٣٤).

يتضح من خلال سرد الاحداث التاريخية مدى تاثير المماليك في كثير من القضايا الحساسة للدولة في عزل سلطان وتولية اخر دون تمكن أي قوة من الرد لقوة سطوتهم العسكرية وانفرادهم بالقوة العسكرية انذاك، وقد تفهم الملك الصالح حجم قوة المماليك الكاملية والاشرفية ومكانتهم على الساحة السياسية كما ادرك ان هذه القوى ليست ذات اتجاه سياسي فحسب وانما ذات مصالح امتيازات تسعى لتعزيزها ورفع مقام امرائها من خلال تدخلها المباشر في حسم القضايا السياسية والعسكرية التي عصفت بالدولة الايوبية لذلك سعى الملك الصالح ايوب الى تحقيق التوازن بين هذه القوى المملوكية على الساحة الايوبية من خلال الاكثار من شراء المماليك حتى وصلت لحد لم يبلغها غيره من ملوك بني ايوب^(٣٦) واطلق عليهم اسم المماليك البحرية نسبة لجزيرة الروض او كونهم جلبوا من وراء البحار^(٣٧).

وتمثلت مساعي الملك الصالح ايوب في تكوين جيش قوي يؤازره في صراعه مع ابناء عمومته من البيت الايوبي من جهة والتصدي للصليبيين من جهة اخرى فضلاً عن ايجاد نوع من التوازن بين قوى المماليك، وضرب ومعاقبة المماليك الذين غدروا به والقوه في سجن الكرك^(٣٨) ولاسيما المماليك الاشرفية الذين صادر اموالهم وطاردتهم في انحاء البلاد^(٣٩).

ان ازدياد اعداد هذه المماليك وحريتها في التصرف بشؤون الدولة رفع نسبة تظلم العامة منهم لذلك شرع ببناء قلعة الروضة وابعدهم عن القاهرة عام ٦٣٨ هـ/٢٤١م كما زاد من انتقامه من اعدائه والتخلص من خصومه، اذ امر عام ٦٤٥ هـ/١٢٤٧م بالتخلص من اخيه الملك العادل الثاني على يد مماليكه الذين اغتالوه بامر منه^(٤١).

الملك تورانشاه : اسمه – كنيته – حياته

هو الملك المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل بن الملك العادل بن الامير نجم الدين ايوب^(٤٢) الملك التاسع من ملوك بني ايوب في مصر، لم تذكر المصادر سنة ولادته لكن من خلال حياة والده الملك الصالح ايوب نستشف ان ولادة الملك الصالح ايوب كما ذكرها ابن ابيك الدويداري^(٤٣) كانت عام ٦٠٣ هـ/١٢٠٨م في حين يورد ان الملك تورانشاه قتل ولم يتجاوز الثلاثين عاماً سنة ٦٤٨ هـ/١٢٥٠م^(٤٤)، فنرجح ولادته بين عامي ٦١٨ – ٦٢٠ هـ/١٢١٩ – ١٢٢١م.

ولم تذكر المصادر المعاصرة للملك تورانشاه ولا القرية شيئاً عن طفولته او نشأته في حياة ابيه الملك الصالح ايوب، لكننا نستشف من هذه المصادر لمحات قصيرة وعابرة من حياته، فقد ذكر ابن ابيك^(٤٥) الدويداري ان الملك تورانشاه "كان هذا الملك المعظم" يميل الى العلوم ويجتمع بالفقهاء ويباحثهم... "كما شبه ابن الكتبي^(٤٦) تورانشاه بابن المعتز بقوله "وادركته حرفة الادب كما ادركت عبد الله بن المعتز" وزاد المقرئ على ذلك^(٤٧) بقوله "انه جرت بين يديه مباحثات ومناظرات في انواع العلوم، كما ان تورانشاه قد مهر في العلوم وعرف الخلاف والفقه والاصول كما ان جده الملك الكامل كان يحبه لميله الى العلم ومجالس الفقهاء".

من هذه النصوص نستطيع القول ان الملك تورانشاه كما يبدو قد تربى في اكناف جده الملك الكامل وحظى انذاك بملازمة العلماء والفقهاء ودرس على ايديهم واستوعب توجيهاتهم حتى بدأ الدخول في مناظرات معهم وامتحانهم فضلاً عن مهارته في الادب لاسيما الشعر حتى انه شبه بالخليفة العباسي ابن المعتز مما امله لتولي مناصب عليا في الدولة حيث عينه والده الملك الصالح ايوب نائباً عنه في بلاد المشرق والجزيرة الفراتية عام ٦٣٦ هـ/١٢٣٨م، متخذاً من حصن كيفا مقراً له^(٤٨).

الحملة الصليبية السابعة على مصر ووفاة الملك الصالح ايوب

كان اعداد الحملة الصليبية على مصر بتنسيق بين البابا انوستت الرابع والملك الفرنسي لويس التاسع بعد استرداد المسلمين لبيت المقدس من الصليبيين عام ٦٤٣ هـ: ١٢٤٥م^(٤٩) فاتخذوا ذلك ذريعة بان الايوبيين قد نقضوا معاهدة عام (٦٢٦ هـ/١٢٢٩م) التي كانت قد عقدت بين الملك الكامل والامبراطور الالمانى فردريك، واعدوا العدة لحملة عسكرية بهدف الاستيلاء على بيت المقدس وتكوين حلف صليبي مغولي للقضاء على الدولة الايوبية في مصر وبلاد الشام، ووضع المنطقة العربية بين فكي كمانشة تتمثل بالحملة الصليبية السابعة مع تحرك مغولي من الشرق وتقسيم ثروات الوطن العربي بينهم مع السيطرة على طرق مواصلاته والهيمنة على تجارته، لكن المفاوضات مع المغول باءت بالفشل^(٥٠).

فانطلقت الحملة الصليبية من فرنسا حيث نجحت هذه الحملة في احتلال مدينة دمياط عام ٦٤٧ هـ/١٢٤٩م^(٥١)، رغم الاحتياطات التي قام بها الملك الصالح ايوب قبل وصول الحملة حيث قام بتحصين المدينة وشحنها بالرجال والمؤن، وامر الامير فخر الدين بن يوسف مع عرب كنانة للدفاع عنها، لكن الامير فخر الدين ترك المدينة مع عرب كنانة مما سهل احتلال المدينة دون مقاومة بيد الصليبيين، مما دفع الملك الصالح ايوب بشنق عرب كنانة وتوبيخ الامير فخر الدين لكنه لم يجرأ على قتله لوقوف المماليك بجانبه في حينها كان الملك الصالح ايوب يعاني من مرض شديد^(٥٢) وهو على فراش الموت^(٥٣).

تورانشاه سلطاناً على مصر

اختلفت المصادر حول تولية الملك تورانشاه للسلطنة في مصر اذ تذكر بعض المصادر^(٥٤) ان الملك الصالح ايوب لم يوص لابنه تورانشاه بالسلطنة بل اوصى ان تسلم مصر الى الخليفة العباسي، لكن شجرة الدر خالفت الوصية وارسلت لابن زوجها لتسلم سلطنة مصر. ان مناقشة هذه الرواية التي تفرد بها ابن واصل وتناقضتها عنه المصادر المتأخرة حسب رواية الامير حسام الدين ابن علي "لما ودعني السلطان الملك الصالح عند سفره الى دمشق عام ٦٤٥ هـ/١٢٤٧م قال : اني مسافر الى الشام واخاف ان يعرض لي موت واخي الملك العادل بقلعة مصر فياخذ البلاد وما يجري عليكم منه خير فان عرض لي في سفري هذا مرض ولو انه وجع اصبع او حمى يوم فاعدمه فانه لا خير فيه لكم، وولدي تورانشاه لا يصلح للملك، فان بلغك موتي فلا تسلم البلاد لاحد من اهلي بل سلمها الى الخليفة المستعصم بالله..."^(٥٥). ويمكن ان نستشف من خلال هذا النص بعض الامور والاسباب التي دفعته للتحدث بهذا :

- ١- ان الملك الصالح ايوب انذاك لم يكن له بديار مصر ولد يرجى القيام بالسلطنة من بعده، وكان قد ولد له ولد قبل ان يصل الى مصر من جاريته شجرة الدر فسماه خليلاً لكنه توفي بعد دخوله مصر^(٥٦). كما توفي له ولد بدمشق هو القاهر والملك الصالح ايوب بنابلس قبل ان تؤخذ منه دمشق، ثم توفي ولده الملك المفيث فتح الدين عمر معتقلاً عند عمه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل^(٥٧).
- ٢- عدم الاستقرار السياسي في المنطقة نتيجة صراعاته انذاك مع الخوارزميين فضلاً عن تأمر اقربائه من البيت الايوبي عليه^(٥٨).

ان مقارنة هذا النص مع سياق الاحداث السياسية الجارية انذاك اذ كانت الظروف السياسية في عام ٦٤٥ هـ/١٢٤٧م مرتبكة وخطرة انذاك فضلاً عن مرض الملك الصالح ايوب وخوفه من ارتقاء اخيه الملك العادل للسلطنة مرة ثانية وانتقامه من ال بيته وعدم ثقته بمماليكه الذين سرعان ما سيتخلون عن ابنه الملك تورانشاه الذي لم تكن الحنكة الادارية والسياسية التي تدعم توليه السلطنة انذاك، كما ان ابن واصل لم يكمل حديثه ولكن من نص ابن سبط الجوزي الذي كان معاصراً وسرد رواية الامير حسام الدين بن ابي علي حول استدعاء تورانشاه من حصن كيفا "دعوني من هذا فالحنا عليه يوماً فقال اجيبه الى هاهنا اقتله"^(٥٩)، وما يؤيد هذا القول ان المماليك البحرية بلغوا من القوة والجرأة حد التأمر على استاذهم وصاحب الفضل عليهم الملك الصالح ايوب عندما وبخ اميرهم فخر الدين بن شيخ الشيوخ وقد اشار الى ذلك المقريري

بقوله " وقامت الشفاعة من كل حد على الامير فخر الدين فخاف كثير من الامراء وغيرهم من سطوة السلطان وهموا بقتله، فاشار عليهم فخر الدين بالصبر حتى تبين امر السلطان فانه على خطة، وان مات كانت الراحة منه"^(٦٠)، كما سايرت مرويّات المؤرخين في تلك الحقبة طبيعية الاحداث وتطابقت مع اراء امرائهم وملوكهم من المماليك في حب المناصب من جهة ووقاية من غضبهم من جهة اخرى، وخير مثال لذلك ابن عبد الظاهر في كتابه "الملك الظاهر" وبيبرس المنصوري في كتابة (زبدة الفكرة) تشيد بسلطين المماليك وتحط من قدر الملك تورانشاه وتنعتة بالنعوت والصفات غير مناسبة لترضي اسيادها من سلاطين المماليك كما ان الامير حسام الدين بن ابي علي نعرض للعزل من قبل الملك تورانشاه وحط من مكانته كما اورد ذلك المقرئزي "ورد كتاب السلطان الى الامير حسام الدين نائب السلطنة بالقدوم عليه واقام بدله في نيابة السلطنة بالقاهرة الامير جمال الدين اقوش، فنزل (حسام) مطرح الجانب بعدما كان عدة الملك الصالح وعمدته".

وهناك مصادر اشارت بان الملك الصالح ايوب اوصى بالسلطنة لابنه الملك تورانشاه من بعده، حسب رواية النويري في كتابه نهاية الارب، حيث كتب كتاباً بخطه يشتمل على وصيته لولده الملك المعظم ويورد فيه "ان السلطان الملك الصالح في مرض موته، قد كتب الى ولده الملك المعظم هذا كتاباً، اسند فيه الملك اليه، واشتمل كتابه على جملة من الوصايا، وقد وقفت على الكتاب المذكور وهو بخط السلطان الملك الصالح بجملته"^(٦١).

والذي يرجح راينا ان الملك الصالح ايوب اوصى بالسلطنة لابنه الملك تورانشاه وان شجرة الدر قامت بامور السلطنة دون ان تعلم اكابر دولتها بوفاة السلطان انذاك لحين حضور ابن زوجها بعد ان احضرت القاضي بهاء الدين كاتب السلطنة والقاضي بدر الدين يوسف، وحلفوا الامراء امامهم للملك تورانشاه^(٦٢)، بعد ان ابلغتهم ان السلطان "قد رسم بان تحلفوا له ولابنه الملك المعظم غياث الدين تورانشاه صاحب حصن كيفا ان يكون سلطاناً بعده... فقالوا كلهم سمعاً وطاعة وحلفوا باسرهم..."^(٦٣)، كما كتب الى الامير حسام الدين بن ابي علي الهذباني نائب السلطان بالقاهرة ان يحلف اكابر الدولة واجنادها بالقاهرة بذلك^(٦٤)، وكانت شجرة الدر قد ارسلت الامير اقطاي امير البحرية الى حصن كيفا لاحتضار الملك تورانشاه^(٦٥) الذي خرج من حصن كيفا في ١١/رمضان ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩م مع خمسين فارساً متجهاً صوب عانه ليعبر الفرات متخفياً حيث نصب له بدر الدين لولو صاحب الموصل كميناً ليقبض عليه لكنه تجاوزه كما تجاوز كمين الملك الناصر يوسف الثاني ملك حلب، وسار في الطريق البري وكاد ان يهلك من العطش^(٦٦) مع اصحابه لكنه تمكن من الوصول الى دمشق في اواخر رمضان حيث قضى العيد هناك بعد ان وزع الاموال على الامراء واطلق السجناء واقر الامير جمال الدين موسى بن يغمور على نيابة دمشق^(٦٧) ثم اتجه الى مصر حيث وصل الى الصالحية باطراف

مصر يوم السادس عشر من ذي القعدة وفي الواحد والعشرين منه دخل القاهرة وجلس على كرسي السلطنة في مصر^(٦٨).

موقف المماليك من سلطنة الملك تورانشاه

لم تذكر المصادر موقف المماليك الصريح من تولي الملك تورانشاه للسلطنة، رغم ما اشارت انهم حلفوا له في وقت كان جهدهم ينصب للتصدي للحملة الصليبية التي يقودها الملك لويس التاسع حيث وصلت طلائع قواته المنصورة، لكن الوقائع والاحداث كانت تشير الى وجود مؤامرة كانت تحاك في الخفاء للتخلص من الملك تورانشاه من جهة والامير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ الذي كان بمثابة اتابك للعساكر المصرية، وبدأت خيوطها تتضح عندما اتجه الامير اقطاعي لاحضاره، فيذكر ابن سبط الجوزي "اوهمه بعض المماليك الواصلين اليه ان فخر الدين قد حلف العسكر لنفسه وحتى ما وصلت قتلك"^(٦٩) مما دفع الملك تورانشاه بانفاق الاموال في دمشق لاستمالة عساكرها فضلاً عن تهديده للامير فخر الدين بالقتل^(٧٠)، في الوقت نفسه تحرك المماليك البحرية في مصر لوقف طموحات الامير فخر الدين الذي كان راعياً في السلطنة حيث "ان همته تترقى الى الملك"^(٧١) مما اعطى مبرراً للمماليك للثورة ضده كما اشار بذلك النويري^(٧٢) وتكرر له بعض امراء المماليك الصالحية، وعزموا على قتله فاستدعى اكابر الامراء، واعلمهم انه لا طمع له في الملك ولا رغبة، وانه انما يحفظه للملك المعظم الى ان يصل. فاعتذروا له وحلفوا، وكان المتهم باغراء الامراء الطواشي محسن وجماعته... ويدعم هذا القول ابن سبط الجوزي^(٧٣) "وحسد الجند فخر الدين وعزموا على قتله..."، مما يرجح رأينا ان هناك مؤامرة كانت تحاك في الخفاء لضرب احدهما بالآخر الملك تورانشاه بالامير فخر الدين ثم الانفراد بالمتبقي والعمل على تصفيته لكن استشهاد الامير فخر الدين في مدينة المنصورة على اثر هجوم قام به الملك لويس التاسع بعد وصول الاخبار اليه بوفاة الملك الصالح ايوب^(٧٣)، انتهى الاصطدام بينهم لينفرد المماليك بالملك تورانشاه بعد الانتهاء من الصليبيين.

المؤامرة

رغم ما تحاول المصادر المعاصرة للحدث والقريبة منها اتهام تورانشاه وتحميله مسؤولية قتل نفسه من خلال ما تقدمه من اتهامات لاقتناع القاريء ان الملك تورانشاه كان فيه خفة ويحرك كتفه الايمن من نصف وجهه^(٧٤)، بدون التطرق الى وصف وتفصيل هذه الحركات التي قد تكون حالة نفسية او مرضاً فيه، كما تصفه المصادر بانه غير مطيع لوالده لذا يكرهه، ولكن تحليل النص الذي اورده التويري يكشف حقائق مهمة اذ يذكر "بعض الملك الصالح نجم الدين الامير حسام الدين بن بهرام الى حصن كيفا لاحضار الملك المعظم تورانشاه الى الديار المصرية وكتب

اليه : الولد يقدم خيرة الله ويصل الى بالس ويعدي عندها، فقد اتفقنا مع الحلبيين، وذكروا انهم يجردون الف فارس في خدمتك واعبر ببلد ماردين ليلاً فما نحن متفقين، فلما قرأ الكتاب كره ذلك، وما كان يؤثر الخروج من الحصن وقال لابن بهرام : يكون الانسان مالك راسه يصبح مملوكاً محكوماً عليه^(٧٦).

نستشف من هذا النص ان الملك تورانشاه كان غير مستعد ليخاطر بحياته في طريق محفوف بالمخاطر والمهالك، او خوف ان يقع اسيراً وينتهي به المطاف بالسجن كما حدث لاختيه الذي هلك دون ان يحرك والده ساكناً لانقاذه، لذا فضل السلامة بالبقاء مع زوجته وابنه في حصن كيفا بعيداً عن حروب والده ومشاكله مع مماليكه وحوله العلماء والفقهاء، اما تصريح الملك الصالح ايوب بان ابنه لا يصلح للملك^(٧٧)، خوفاً عليه من مصير مجهول في مملكة تعصف بها الدسائس والمؤامرات من اقرب الناس اليه، وكفاه ما ضحى بثلاث اولاد قبله لذا كان يقول دائماً "اجيبه الى هاهنا اقتله"^(٧٨)، وكان الملك تورانشاه يمتلك مؤهلات علمية وفقهية وادبية ويجادل ويمتحن العلماء والفقهاء في مجلسه، فضلاً عن الخطة العسكرية التي اعدّها بعد استلامه قيادة العساكر المصرية من شجرة الدر وخلصتها ان يقطع خط الرجعة على الصليبيين وذلك بنقل عدة من السفن على ظهر الجمال وانزالها النيل وراء خطوط العساكر الصليبية ليقطع المؤن والرجعة عليهم والاستيلاء على كثير من سفنهم ادت لانتشار المجاعة نتيجة قطع الامدادات والمؤن على الصليبيين، وتقشي الامراض والايوثة بين جنودهم اضطر على اثرها الملك لويس التاسع على الاستسلام^(٧٩)، فلا يمكن وصف من يتمتع بهذه المؤهلات العلمية والادبية والعسكرية بانه اهوج وفيه خفة وطيش وسوء تدبير، لكن بعض المصادر تروج لمصلحة بعض القادة وتسعى لارضائهم على حساب الحقيقة وبذلك فان التزوير انحرف بالسبب الحقيقي الذي تمثل بمقتل الملك تورانشاه في مصر بعد تحقيقه انتصاراً كبيراً على الصليبيين في معركة فارسكوه في ٣ محرم ٦٤٨ هـ^(٨٠)، كما لم يمنح امراءه ما يستحقون من الهبات والهدايا كما فعل في دمشق^(٨١) فضلاً عن عدم وفائه للامير افطاي بتوليته اماره حلب عند عودته من حصن كيفا^(٨٢) بل عمد على ارسال بعض امراء المماليك الى خارج مصر ومنهم الامير افطاي بحجة تبشير ملوك الدول المجاورة بنصره على الصليبيين^(٨٣)، وتقريب مماليكه الذين قدموا معه من حصن كيفا مما ازعج مماليك والده فضلاً عن مطالبة زوجة ابيه شجرة الدر باموال ابيه مخالفاً لوصية والده الملك الصالح ايوب^(٨٤). اما السبب المباشر فيمكن قراءته في ثنايا الاحداث بوجود مؤامرة كانت تحاك منذ حياة والده الملك الصالح ايوب التي كادت ان تقتك به وتعجل بزوال الدولة الايوبية لكن مرضه اسعفه، فاجلت المؤامرة لما بعد الانتهاء من الحملة الصليبية وكشف حقيقة الملك تورانشاه التي تصفه مصادرهم ورجالاتها بالاهوج والخفيف وطيش الشباب لكن الاحداث اثبتت العكس انه رجل علم وادب وذو موهبة عسكرية فأحبه الناس والتفوا حوله مما

اثر مخاوف المماليك واثار ارتباكهم فعجلوه قبل دخوله القاهرة الذي بدأت تستعد لاستقباله ليلقي حتفه يوم الثلاثاء السابع والعشرين من محرم سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م. ويمكن شرح مؤامرة قتله بما يألي بينما الملك تورانشاه جالساً على بساط طعامه تقدم احد مماليك والده وهو الامير بيبرس وضربه بالسيف فتلقاها بيده ثم "اجتمع الجماعة الذين اتفقوا على قتله وهجموا عليه فهرب الى اعلى البرج فاحرقوه بالنار" فمات قتيلاً حريقاً غريقاً^(٨٥)، بعدها اتفق الامراء الصاحية والبحرية على اقامة شجرة الدر زوجة والده الملك الصالح ايوب لتنتهي دولة بني ايوب في مصر وتحل محلها الدولة المملوكية الاولى عام ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م.

المصادر

- ١- ابن اياس، محمد بن احمد (ت : ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٣ م)
 - بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة بولاق، مصر ١٣١١ هـ.
- ٢- بيبرس الداودار، ركن الدين بن عبد الله المنصوري، ت ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٤ م
 - زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق، دونالد س. ريدتشاردرز، الشركة المتحدة، بيروت، ١٤١٩ هـ.
- تاريخ الاخبار، تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢٣ هـ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣.
- ٣- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (٧٨٤ هـ/ ١٤٦٩ م)
 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة د. ت.
- ٤- الحنبلي، احمد بن ابراهيم (ت ٨٧٦ هـ/ ١٤٧١ م)
 - شفاء القلوب في مناقب ايوب، تحقيق : ناظم رشيد، ار الحرية، بغداد، ١٩٧٩ م

- ٥- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م)
 - العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر (المشهور بتاريخ ابن خلدون) مؤسسة الاعلمي بيروت ١٢٩١ هـ/١٩٧١ م).
- ٦- الداوداري، ابو بكر بن عبد الله بن ابيك (٧٣٦ هـ/١٣٣٥ م)
 - كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٧، (المشهور بالدر المطلوب في اخبار بني ايوب) تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار احياء الكتب القاهرة، ١٩٧٢.
- ٧- ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلاني ابن دقماق.
 - الجوهر الثمين من سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشورن الرياض ١٤٠٣ هـ.
- ٨- سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلو، ت ٦٥٤ هـ/١٢٥٦ م
 - مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٥٢ م.
- ٩- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر، ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م
 - تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة منير، بغداد، ١٩٨٣ م.
- ١٠- شافع بن علي بن عباس، ت ٧٣٠ هـ/١٣٣٠ م.
 - كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، الرياض، ١٩٧٦ م.
- ١١- ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله رشيد الدين بن صفوان المصري، ت ٦٩٢ هـ/١٢٩٣ م
 - تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦١ م.
- ١٢- ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد، ت ٦٦٠ هـ/١٢٦١ م
 - زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق، سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٨ م.
- ١٣- ابن العميد، المكين جرجيس (٦٧٢ هـ/١٢٧٣ م)
 - اخبار الايوبيين، المعهد الفرنسي، دمشق ١٩٥٨ م.
- ١٤- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (٨٢١ هـ/١٣٤١ م)
 - صبح الاعشى في صناعى الانشا، مطبعة كوتاتوماس المؤسسة العامة للتاليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٣ م.

- ١٥- المقريري، تقي الدين احمد بن علي، ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تصحيح محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المشهور بالخطط المقريرية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - د. ت.
١٦- ابن منظور، جمال الدين محمد بن كرم، ت ٧١١ هـ/١٣١١ م.
- لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق. د. ت.
١٧- النويري، شاب الدين احمد بن عبد لوهاب، (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م.
- نهاية الارب في فنون الادب، ج ٢٩، تحقيق محمد شياء الدين الرئيس الهيئة المصرية، القاهرة ١٩٩٣ م.
١٨- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، ت ٦٩٧ هـ/١٢٩٧ م.
- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج ٥، تحقيق حسين محمد ربيع، دار القلم، القاهرة، ١٩٧٢ م.

المراجع الثانوية

- ١- زيادة، محمد مصطفى وآخرون، تاريخ الحضارة المصرية المؤسسة العامة، القاهرة د. ت.
٢- العبادي، احمد مختار، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩ م.

البحوث

- سوادي عبد محمد، اضواء على التحالف الصليبي المغولي ضد العراق والمشرق العربي مجلة المورد، مج ١٦، ع ٤، بغداد، ١٩٨٧.

الموسوعة

- EL?2S.V.Mamluk by p. m., Holt. P. 314

الملحق

ابتدأ السلطان الملك الصالح كتابه هذا - الذي منه نقلت - بان كتب في طرته قبل
البسملة : والده ايوب بن محمد :

بسم الله الرحمن الرحيم

الولد تورانشاه - اصلحه الله ووفقه يا ولدي، انت تعلم ما سبب تاخير طلبك الا ما اعمله
منك. من الصبيانية الجراة وقلة الثبات. والملك ما يحتمل هذا. والوالد ما يشتهدى لولده الا الخير.
والخصائل التي اعرفها منك اتركها، يدوم لك الملك وان انت خالفت امري وبقيت على ما اعلمه
منك يروح منك الملك واثبت في جميع امورك. وسن سيرتي في العسر واترك الاشياء على ما
هي عليه : كل احد متولى الشغل الذي هو فيه، ولا تحدث حادث.

والوصية بجميع الامراء، واکرمهم واحترمهم، وارفع منزلتهم. فهم جناحك الذي تطير به،
وظهرك الذي تركز اليه. وطيب قلوبهم، وزيد في اقطاعهم. وزود كل امير على (ما) معه من
العدة عشرين فارس، وانفق الاموال وطيب قلوب الرجال، يحبوك وتنال غرضك في دفع هذا
العدو ولا تؤاخذ بما جرى في دمياط، فهذا امر سماوي، ما لاحد في هذا حيلة.

والاخ فخر الدين بن الشيخ ما عندي من اقدم سواه، فاکرمه، واحترمه كما تحترمني.
واجعله عندك كالوالد. واسمع قوله ورايه ولا تخالفه واجعل له من العدة مائتي فارس.

يا ولدي : الوصية بام خليل، فلها على من الحقوق والخدمة ما لا اقدر اصفه ارعى
جانبها واکرمها واحترمها، وارفع منزلتها، فهي عندي بمزلة عظيمة. وكنت طيب القلب بصحبتها
امناً على نفسي من جهتها، فاجعلها لك مثل الوالدة واجتهد في اتصال الراحة اليها، وطيب قلبها،
وأجعلها حاکمة على جميع امورك واموالك. ولا يبدو منك كلمة تضيق صدرها، ولا توجع لها قلباً
ابداً، ولا من يتعلق بسببها، ولا من يضيق صدرها بسببه.

ولا تخرج عن رايها وتديبرها وهذه وصيتي فلا تخالف امري واخدمها كما تخدمني،
واحترمها كما تحترمني ولا تجعل على يدها يد. والوصية بجميع العمال احسن اليهم فلهم علي
خدمة. ولا تقصر في حق الصغير منهم والكبير. واحفظ وصيتي فمتى خالفتني بروح منك الملك
وتكون عالقاً لي وكتب هذه الوصية ولم يطلع عليها احد، لئلا تضيق صدورهم وكتبتها في مدة
طويلة.

واعلم يا ولدي ان الملك في ابتداء ملكه كمثل الشجرة في ابتداء طلوعها، قياتي ربح
يهب عليها يحركها، وربما يقلعها من اصلها فاذا مضت عليها الايام والسنون قوى اصلها، واشتد
ساقها، فلا تحركها الرياح العواصف فاعلم يا ولدي اشارتي، وتنبه لغرضي وان ضاق صدرك من
شخص فاحتمله، واحسن اليه تحسن سيرتك. ويحبك عدوك ولا تعجل بالعقوبة واعلم ان الناس

اعداء لبعضهم البعض، فلا تسمع كلام احد دون ان تقابل بينه وبين خصمه، ولو اتاك مقطوع اليد فريما خصمه اسوأ حالاً منه. فاذا عرف هذا منك تقل الشكاوى والرفاعات، ويستريح خاطرك. والذي اعرفك به يا ولدي : لما نزل العدو على زمن الشهيد رحمه الله على دمياط، ما كان فيها سوى الوالي والكنانية، واهلها حفظوها الى ان وصل الشهيد من القاهرة، وعسكر مصر من الشام، وما قدر العدو ينزل بر دمياط، وما كان فيها ذخيرة شهر واحد.

فلما اختلف العسكر على الشهدي - رحمه الله - وتحزبوا - مثل ابن الشطوب والاكرد - مع الملك الفائز، غضب الشهيد وساق الى اشموم وتبعه العساكر وتركوا جميع الخيم والقماش - وخرج من دمياط من خرج والوالي.

وما بقي فيها الا اهلها وغلقوها وقعدوا فيها وحفظوها، الى ان مات اكثر من فيها والباقي تكشحو وخلت الاصور من المقاتلين فصعدت الفرنج واخذتها بعد ان تعبوا من النقب من تحت الارض وشربوا بالبتاتي والزحف عليها من جميع الجهات وما قدروا ياخذوها.

وانا قويت دمياط وملأتها ذخائر من كل شيء يكفيها عشرين سنة، مع ما كان عند اهلها من الذخائر واكشف من الديوان يعرفوك ما كان فيها من الخيرات وقويتها بجميع عسكر الديار المصرية من فارس وراجل ونقدي وما خلّيت لها عذر حتى بقيت وحدي في اشموم بسبب المرض. فلما ان اقبل العدو وشاهدوه وطلبوا البر بالحراريق انهزموا وسلموا لهم البر واشتغلوا بالنساء ونقلهم من دمياط وهربت العوام وتبعهم الاجناد وكان المقدم عليهم الاخ فخر الدين ساق خلفهم وردهم وجعل على ابواب دمياط كل باب امير فلما اصبح ما وجد في المدينة احدًا. هربوا الكنانية في الليل وكسروا الخوخ ونزلوا من السور وتركوا اموالهم وذخائرها نهبها المسلمين بعضهم بعض واخلو دمياط حتى اخذتها الفرنج ثاني يوم وهذا كله بقضاء الله وقدره واصبر تتال ما تريد.

وهذا العدو المحذول ان عجزت عنه وخرجوا من دمياط وقصدومك، ولم يكن لك بهم طاقة وتاخرت عنك النجدة وطلبوا منك الساحل وبيت المقدس وغزة وغيرها من الساحل اعطيهم ولا توقف على ان لا يكون لهم في الديار المصرية قعر قسبة.

وان نزلوا منزلة من تقدمهم من العدو قبالة المنصورة، فرتب العسكر يكونوا ثابتين خلف الستائر مع البحر ليل ونهار، فهم ما لهم زحف الا بالشواني فققوا الشواني كيفما قدرتهم واجهدوا ان يكون بعض الحراريق على بحر المحلة من خلف مراكبهم تقطع عنهم الميرة وهو يكون ان شاء الله سبب هلاكهم فتلك المرة ما انتصر الشهيد - رحمه الله - عليهم الا من بحر المحلة.

وتكون العرب مع الخوارزمية مع الفين فارس بينهم وبين دمياط واستخدم الفارس والراجل وانفق الاموال ولا تتوقف وان كان الشرق لا ينجدوك لاجل الناصر واسماعيل واشترطوا ان ترد عليهم بلادهم ورايت الغلوية ولا بد من ذلك والا ذهب الملك - فالضرورات لها احكام.

اعلم - يا ولدي - ان الديار المصرية هي كرسي المملكة وبها تستطيل على جميع الملوك. فاذا كانت بيدك كان بيدك جميع الشرق ويضربوا لك الشكة والخطبة.

فاتفق انت والاخ فخر الدين وارضى الناصر بما يطيب به قلبه فالناصر ما اخرجته من يدي الا تغيري عليه، بسبب اوراق كانت تصل الى عنه انه فعل وصنع. وكشف عن ذلك ما رايت لها صحة فلما انقطع رجاء منى لتغيري استند الى اسماعيل وابن ممدود، وجرى منهم ما جرى كل ذلك من اسماعيل وابن ممدود، وهو يشاركهم في جميع ما يفعلوه.

واما الذي فعله معي على نابلس فما كان الا مصلحة عظيمة، انا اشكره عليها طلع بي الكرك الى ان ذهبنا ايام القطوع. لولا ذلك اخذني اسماعيل لانه ضيق على ارض الشام بالعسكر في طلب فما فعل في حقي الا خير. فهو كان السبب في خروجي في الوقت الذي كان قدر الله بتوجهي فيه الى الديار المصرية بالملك فلا يضيع له هذا القدر.

وكنيت نوبت له كل خير فان حصل بينكما اتفاق وصفت نيته في محبتك ووفى لك باليمين فخاطرك به مستريح في امرلا الساحل فما ذنوبه عندي ذنوب اسماعيل الذي بارزني واخذ مني دمشق، واعتقل ولدي وفعل في حقي ما فعل، واعطى الساحل والحصون التي فيه لعدو الدين، واستعان بالكفر علي وعلى اخذ بلادني، فارضيه بشيء يستعين به بصرى مع السواد، ولا تعطي له قلعة بعلبك وتحسن الي اولاده واهله وينفذوا اليه فانه يقابل المسيء ويجازي المحسن واطلب المحتسبين كلهم الا من كان له تعلق في قبض عمك او مفسد في الدولة.

فان قدر الله لك بالنصر على هذا العدو المخذول واخذت دمياط - ان شاء الله تعالى - ابني باشورة تكون طول قامته وبسطة بشراريف ومرامي من فوق واسفل، وتكون الباشورة عرض يتمكن القتال عليها اما بالحجر او بالطوب الاحمر ويكون لها سلاط بين كل سلم وسلم ثلاثين خطوة تعمل هذه الباشورة من قبالة برج السلسلة قريب من الماء البحر الى البرزخ الى المكان الذي نزلوا فيه الفرنج وفوق منه بثلاث رميات نشاب. ومن اخر هذه الباشورة تحفر خندق من البحر المالح الى البحر الحلو ما حفره الشهيد تلك المرة بحيث اذا جاء العدو لا يقدر على الماء الحلو ولا يبقى له منزل ينزل فيه. وبين كل سلمين لعبتين يرموا بالحجارة والعسكر تقاثل من على الباشورة والمنجنيق والرماة ترمي من خلف الباشورة من المرامي ما يقدر احد يقرب البر وعجبت كيف غفل عن هذا الشهيد - رحمه الله - وعمل قلعة.

فهذه الباشورة فيها الف مصلحة قسطها على الامراء وعلى بيت المال والاسرى الفرنج تعمل فيها واجتهد في عملها تامن على دمياط وتستريح وان لم يخرج العدو من دمياط وتطاول الامر ينتظروا نجدة تصل اليهم، ازحف عليهم من بر دمياط ومن بر البرزخ، بالفارس والراجل وبالشواني من البحر لعل ان تملكوا اثر البرزخ فاذا ملكتموه ملكتم فم البحر ومنعتوا ان يدخل اليه مركب او يخرج.

ويا ولدي قلدت اليك امور المسلمين فافعل فيهم ما امرك الله به ورسوله يا ولدي اياك والشرب فان جميع الافات ما تاتي على الملوك الا من الشرب ولا تخالفني تتدم وتدخل عليك العرض فما يسقيك الا من تامن اليه ولا يدخل عليك العارض الا من القريب يا ولدي وامنع المسلمين والنصارى ان يعصروا الخمر وطهر العساكر من القحاب والمدن ولا تجلس مع من يشرب فيزين لك الشيطان فتشرب فتكون قد خالفنتي وتدخل عليك العارض وانا قد جربت الاشياء ووقعت فيها وتحققت الخطأ من الصواب وندمت وقت لا ينفع الندم فاجتنب يا ولدي ما حذرتك منه فقد اخبرك مجرب صادق مشفق عليك.

وانظر يا ولدي في ديوان الجيش فهم الذين افسدوا البلاد واخربوها - وهم النصارى - اضعفوا العساكر، وكان البلاد ملكهم يبيعونها بيع اذا كتب منشور لامير ياخذوا منه المائتين واكثر ومن الجندي من المائة ونازل ويكون الجندي خبزه الف دينار يفرقوا خبزه في خمس ست مواضع في قوص وفي الشرقية وفي الغربية فيريد الجندي اربعة وكلاء يروح الخبز للوكلاء ومتى يحصل للجندي من خبزه شيء اذا كان مثلاً في بيكار ويقاسى العليقة بثلاثة نقرة كيف يكون حاله يخرب بينه ويهلك وضعف الاجناد حتى تروح منا البلاد وجندي يحصل له وجندي ما يحصل له شيء اصلاً.

ترد عبرة البلاد الى ما كانت عليه في زمن صلاح الدين - رحمه الله والجندي لا يكون خبزه مفرقاً، بل في موضع او موضعين قريبين فتعمر البلاد ويقوي الجندي ويقوي الفلاح فاذا كانوا جماعة في بلد وكل احد يخرب من ناحية ويجور المقطعين على الفلاحين تخريب البلاد وهذا كله فعل النصارى.

وبلغني انهم بعثوا الى ملوك الفرنج في الساحل في الجزائر وقالوا لهم انتم ما تجاهدوا المسلمين بل نحن نجاهدكم الليل والنهار باخذ اموالهم ونستحل نساءهم ونخرب بلادهم ونضعف اجنادهم تعالوا خذوا البلاد ما تركنا لكم عاقبة فالعدو معك في دولتك - وهو النصارى - ولا تركن لمن اسلم منهم ولا تعتمد عليه فما يسلم احد منهم الا لعله ودينه في قلبه باطن كالنار في الحطب.

يا ولدي اكثر الاجناد اليوم عامة وباعة وقزازين كل من لبس قباء وركب فرس وجاء الى امير من هؤلاء الترك وقدم له فرساً ويبرطل نقيبه واستاذ داره على خبز جندي من جندي معروف بالشجاعة والحرب - طرده اميره واعطى خبزه لذاك العامي الذي لا ينفع العسكر لانهم ما يعرفوا قتالاً ولا هو شغلهم فينبغي ان لا يستخدم (الا) من يعرف بالرمح على الفرس ويرمي بالنشاب والا كرة وتظهر فروسيته - حينئذ يستخدم.

واحفظ يا ولدي ما اقوله لك، فهذا جميعه ما عرفني به الا الاخ فخر الدين واخبرني انه وقف على كتاب بخط صلاح الدين ان الفيوم وسمنود والسواحل والخراج للاسطول فالاسطول

احد جناحي الاسلام فينبغي ان يكونوا شباعاً ورجال الاسطول اذا اطلق لهم كل شهرين عشرين درهم مستمرة راتبه جاءوا من كل فج عميق، ورجال معروفين بالقذف والقتال وانما تتجو وقت الحاجة تقبضوا ناساً مستورين لهم اطفال وبنات وهو الذي يطعمهم ويسقيهم تاخذوه في الاسطول ولا ينفع تموت اطفاله بالجوع ويدعو علينا كيف تنتصر على العدو وتاخذوا الى البحر عند قبض الاسطول كل يوم الف دينار لانه يقبض من الصبح الى المغرب احد يزن الذهب يخلص نفسه والفقير الذي ما له قدرة تحدوره في المراكب فقد نبهت الولد على هذه الاشياء والاخ فخر الدين عرفني بهذه الاحوال جميعها فاسمع ما يقوله لك.

الولد يتوصى بالخدم : محسن ورشيد والخدام المقدميين لا تغيروهم فما قدمت احداً من الخدام ولا من المماليك الا بعد ما تحققت نصحه وشفقته واستاذ الدار وامير جاندار تتوصى بهم وكذلك الحسام لا تغيروهم فاني اعتمد عليهم في جميع اموري.

القميرية الولد لا يسمع كلام بعضهم في بعض وناصر الدين عند كذب وخبث. وما باطنه جيد. وقد عرفت الاخ فخر الدين الرسل الذي مسكوا من دمشق الى حلب من عنده والحسام يكون بمفرده لاحل ولا ربط وضيا الدين القميري ان احتاجوا الى ان يخرج عسكر الى جهة من الجهات يكون مقدم وناصر الدين ارجل لا يخرج مع عسكر. وسيف الدين القيمري تعمل معه ما يقرر مع الاخ فخر الدين يكون مقدم العسكر في دمشق وابن يغمور مشد وناصر الدين على المظالم فابن يغمور يصلح يكون مشد ووالي وجابي الاموال ولا يصلح ان يكون مقدم على عسكر، ولا يصلح لجنديه ولا تؤمن اليه كل الامن بل تمشى به الحال في مكان مدة، ثم ينقل الى غيره. وهو بالكتاب اليقين.

وكذلك قرائب فخر الدين عثمان كلهم لا يصلحوا لجندي ابن العزيز الراي عندي ان تؤخذ جماعته ويبقى هو ومماليكه وحاشيته ودوره ما يقوم بهم من خاصة فالاخ فخر الدين يعرف ما جرى منه فهو نحس مفسد مخشخش وقد عرف الاخ فخر الدين حاله وما جرى منه في دمياط وغير مياط، فما يصلح لصالحه.

متولي ديوان الاحباس اصرفه وولى ابن النحوي فقد سألني المتصدرين ذلك. وطرائق بن الحباب غير صالحة والوكيل اصرفه وولى ابن الفقيه نصر فهو رجل جيد فقيه عنده خوف من الله.

وقد عينت في ورقة عند الاخ فخر الدين عشرين من المماليك تقدمهم تعطى لكل واحد كوس وعلم وتحسن اليهم.

وتتوصى بالمماليك غاية الوصية فهم الذي كنت اعتمد عليهم واثق بهم وهم ظهري وساعدي تتطلف بهم وتطيب قلوبهم وتوعدهم بكل خير ولا تخالف وصيتي ولولا المماليك ما مكنت قدرت اركب فرس ولا اروح الى دمشق ولا الى غيرها فتكرمهم وتحفظ جانبهم.

فهذه وصيتي اليك، فاعمل بما فيها ولا تخالف وصيتي وكل يوم طالعها واقف عليها ولا تعمل شيئاً دون ان تشاور الاخ فخر الدين والله يقدر ما فيه الخير - ان شاء الله تعالى .
يا ولدي ان الزموك - الحلبيين - ان تدفع الكرك الى الناصر فاعطه الشوبك وان لم يرض زده من الساحل حتى يرضى ولا تخرج الكرك من يدك. الله الله احفظ وصيتي فلا تعلم ما يكون من هذا العدو والمخذول لعله - والعياذ بالله - ان يتقدم الى مصر يكون ظهرك الكرك تحفظ فيه راسك وحريمك فمصر مالها حصن ويجتمع عندك العسكر وتتقدم اليهم تردهم عن مصر. وان لم يكون لك ظهر مثل الكرك تفرقت عنك العساكر وقد عزمت ان انقل اليها المال والذخائر والحرم وكل شيء اخاف عليه واجعلها ظهري والله ما قوى واشتد ظهري الا لما حصلت في يدي.

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه^(١).

(١) النويري: نهاية الارب ج ٢٩/٢٢٧-٢٤٠

الهوامش

- (١) حول لفظ مملوك ينظر، ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق يوسف خياط (بيروت، د ت)، ج ٢٢٨/٣ - ٢٢٩.
- (٢) زيادة، محمد مصطفى وآخرون، تاريخ الحضارة المصرية، المؤسسة العامة (القاهرة، د. ت) ج ٤١٨/٢.
- (٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر (المشهور بتاريخ ابن خلدون) مؤسسة الاعظمي، (بيروت ١٢٩١ هـ/١٩٩٧ م)، ج ٣٦٩/٥.
- (٤) رشاد، عبد المنعم، العرب وجمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية، مجلة الدراسات التاريخية، تصدر عن بيت الحكمة، بغداد، العدد (٢)، (١٩٩٩)، ص ٧١.
- (٥) فوزي، فاروق عمر، بحوث في التاريخ العباسي، دار العلم، (بيروت ١٩٧٠)؛ طبعة الدعوة العباسية، مطبعة الشعب، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ١٥ وما بعدها.
- (٦) فوزي، فاروق عمر، تاريخ العراق في عصور الخلافة الاسلامية، مكتبة النهضة، (بغداد، ١٩٨٨ م).
- (٧) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة منير، (بغداد، ١٩٨٣ م) ص ٢٢٢؛ ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطابع كوستانتوماس، (القاهرة د. ت)، ٢/٢٣٣.
- (٨) ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله رشيد الدين بن صفوان المصري، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦١ م)، ص ٣٥.
- (٩) ابن اياس، محمد بن احمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة بولاق، (مصر ١٣١١ هـ) ١/٢٧.
- (١٠) ابن تغري بردي، النجوم، ٣/٢٥٦؛ ابن اياس بدائع، ١/٤٣.
- (١١) المصدر والصفحة نفسها.
- (١٢) المقرئ، تقي الدين احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المشهور بالخطط المقرئية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت) ١/٩٤.
- (١٣) المصدر نفسه والصفحة.
- (١٤) المصدر نفسه والصفحة.
- (١٥) المصدر نفسه والصفحة.
- (١٦) ابو شامة، شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع (المشهور بالذيل على الروضتين)، ط ٢، دار الجبل، (بيروت، ١٩٧٤) ١/١٥٥.
- (١٧) المقرئ، الخطط، ١/٩٤.
- (١٨) المصدر نفسه والصفحة.
- (١٩) العيني، بدر الدين محمود، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق محمد امين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٧ هـ/١٩٨٧ م)، ٦٤ - ٦٥.
- (٢٠) بيبرس الداودار، ركن الدين بن عبد الله المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق، دونالد. س ريدتشاردز، الشركة المتحدة (بيروت، ١٤١٩ هـ) ٢ - ٣.
- (٢١) شافع بن علي بن عباس، كتاب حسن المناقب السرية المنزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز الخواطر، (الرياض، ١٩٧٦ م)، ٧.

- (٢٢) العبادي، احمد مختار، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام، دار النهضة (بيروت، ١٩٦٩م)، ص ٨٨.
- (٢٣) المقرئزي، تقي الدين احمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تصحيح محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، (القاهرة ١٩٥٧)، ١ ق ١، ص ١٢٨.
- (٢٤) المقرئزي، السلوك، ١ ق ١، ٢٢١؛ العبادي، قيام دولة المماليك، ص ٩٢.
- (٢٥) حول غدر الخوارزميين وعدم وفائهم ينظر، ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق حسين محمد ربيع، دار القلم (القاهرة، ١٩٧٢)، ٣٥٩/٥؛ ابن العميد، المكيين جرجيس، اخبار الايوبيين، المعهد الفرنسي، (دمشق، ١٩٥٨م)، ١٥٦ - ١٥٧.
- (٢٦) المقرئزي، السلوك، ١ ق ١/٢٤٠.
- (٢٧) المصدر نفسه.
- (٢٨) المصدر نفسه، ١ ق ١/٢٤٤.
- (٢٩) المقرئزي، الخطط، ٢/٢٣٦.
- (٣٠) ابن العميد، كمال الدين عمر بن احمد، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨م) ٣/١٩٢.
- (٣١) ابن العميد، اخبار، ١٤٧.
- (٣٢) بلبيس : مدينة تقع بالقرب من العباسية عند حدود مصر مع فلسطين ينظر المقرئزي، السلوك، ١ ق ٢، ص ٣٧٢ - ٣٧٣.
- (٣٣) ابن العميد، اخبار، ص ١٤٨ - ١٥٢؛ ابن واصل، مفرج، ٥/٣٧٩ - ٣٨١.
- (٣٤) المصدر نفسه.
- (٣٥) ابن العميد، اخبار، ص ١٥٧؛ بيبيرس المنصوري، زبدة، ص ٧.
- (٣٦) حول تسمية المماليك بالبحرية ينظر للمزيد شافع بن علي، حسن المناقب، ص ٧؛ ابن خلدون، العبر، ٥/٢٧٣.
- (٣٧) المقرئزي، السلوك، ١ ق ٢/٢٩٦.
- (٣٨) المقرئزي، الخطط، ٢/٢٣٦.
- (٣٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٤٠) العبادي، قيام دولة المماليك، ٩٤.
- (٤١) ابن العميد، اخبار، ص ١٥٧.
- (٤٢) العيني، عقد الجمان، ص ٢٣؛ بيبيرس المنصوري، زبدة، ص ٨.
- (٤٣) الداوداري، ابو بكر بن عبد الله بن ابيك، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٧، (المشهور بالدرر المطلوب في اخبار بني ايوب)، تحقيق سعيد عب الفتاح عاشور، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٧٢)، ج ٣١٤/٧.
- (٤٤) المصدر نفسه، ٧/٣٨٣.
- (٤٥) المصدر نفسه، ٧/٣٧٤.
- (٤٦) الكتبي، محمد بن شاكر، عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد، (بغداد، ١٩٨٠م)، ٤٥/٢٠.

- (٤٧) المقرئزي، السلوك، ١ ق ٣٥٣/٢، كما ينظر، ابن الحنبلي، احمد بن ابراهيم، شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق ناظم رشيد، دار الحرية، (بغداد، ١٩٧٩)، ٤٢٧-٤٢٨.
- (٤٨) ابن العميد، اخبار، ١٤٦؛ القلقشندي ابو العباس احمد بن علي، صبح الاعشا في صناعة الانشا، طبعة كوتاتوماس المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، (القاهرة، ١٩٦٣) ١١٧/٧ - ١١٨.
- (٤٩) سلم الملك الكامل بيت المقدس للاميراطور فردريك امبراطور المانيا، للمزيد ينظر : القلقشندي، صبح الاعشا، ١١٧/٧ - ١١٨.
- (٥٠) سوادي عبد محمود، اضواء على التحالف الصليبي المغولي ضد العراق والشرق العربي، مجلد المورد، مج ١٦، ع ٤، ١٩٨٧. ط.
- (٥١) يوسف، جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ١٩٨١، ص ٥٩.
- (٥٢) ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلاني، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين تحقيق سعيد عاشور، (الرياض ١٤٠٣ هـ)، ٢٤٥.
- (٥٣) كان يعاني الملك الصالح ايوب من الاكله في قدمه منذ عام ٦٤٥ هـ/١٢٤٧م وحصل له ورم فيها ادت لوفاته في شعبان عام ٦٤٧ هـ/١٢٤٩م بالمنصورة، الحنبلي، شفاء، ٢٧٩.
- (٥٤) ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل المختصر في اخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ٩٦٠ - ١٩٦١م)، ٣/١٨٠؛ ابن الوردي، زين الدين عمر، تنمة المختصر في اخبار البشر، المشهور بتاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، (النجف ١٩٦٩م)، ٢/٢٦٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٧٥/٥ - ٣٧٦.
- (٥٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٧٥/٥ - ٣٧٦.
- (٥٦) المصدر نفسه.
- (٥٧) المصدر نفسه، ٣٧٥/٥، ٣٤٦.
- (٥٨) للمزيد ينظر، ابن العميد، اخبار، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزا وغلوا، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (الهند، ١٩٥٢م)، ج ٨، ق ٧٣٤/٢، ٧٣٦، ٧٣٨.
- (٥٩) سبط ابن الجوزي، مرآة، ٨ ق ٧٨٣/٢.
- (٦٠) المقرئزي، السلوك/ ١ ق ٣٣٦/٢ حول عزل حسام الدين انظر ص ٣٥٨.
- (٦١) النويري، شهاب الدين احمد بن بد الوهاب، نهاية الارب في فنون الادب، ج ٢٩، تحقيق محمد ضياء الدين الرئيس، الهيئة المصرية (القاهرة ١٩٩٣)، ٢٩/٣٣٧، للمزيد حول الوصية ينظر الملحق.
- (٦٢) ابن ابيك الدوداري، كنز الدرر، ٣٧٤/٧.
- (٦٣) المقرئزي، السلوك، ١ ق ٣٤٣/٢.
- (٦٤) المصدر نفسه.
- (٦٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨ ق ٢٣٧٦؛ ابو شامة، الذيلن ١٨٥. ط.
- (٦٦) المقرئزي، السلوك، ١ ق ٣٤٦/٢؛ الحنبلي، شفاء، ٤٣٠.
- (٦٧) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ٤٢٧.
- (٦٨) المقرئزي، السلوك، ١ ق ٣٥٣/٢.
- (٦٩) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨ ق ٧٧٦/٢؛ النويري، نهاية الارب، ٢٩/٣٥٣.
- (٧٠) المصدر نفسه.

- (٧١) المقرئزي، السلوك، ١ ق ٣٤٥/٢.
- (٧٢) النويري، نهاية الارب، ٣٣٨/٢٩؛ سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ٨ ق ٧٧٦/٢.
- (٧٣) المصدر نفسه.
- (٧٤) بيبيرس الداودار المنصوري، مختار الاخبار، تاريخ الدولة الايوبية ودولة الممالك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ/تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص ٨.
- (٧٥) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ٨ ق ٧٨١/٢.
- (٧٦) النويري، نهاية الارب، ٣١٦/٢٩.
- (٧٧) ابن تغري بردي، النجوم، ٨٣/٤.
- (٧٨) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ٨ ق ٧٨٣/٨.
- (٧٩) ابن ايبك الداوداري، كنز الدرر، ٣٧٧/٧ - ٣٧٨؛ المقرئزي، السلوك، ١ ق ٣٥٣ - ٣٥٤.
- (٨٠) الكتبي، عيون التواريخ، ٢٤/٢٠.
- (٨١) العيني، عقد الجمان، ٢٣.
- (٨٢) المصدر نفسه، ص ٢٤.
- (٨٣) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ٢٤٨ - ٢٤٩. النويري، نهاية الارب، ٣٤١/٢٩ - ٣٤٣؛ العيني، عقد الجمان، ٢٤.
- (٨٤) النويري، نهاية الارب، ٣٦١/٢٩.
- (٨٥) المصدر نفسه، ص ٣٦١.